قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام

عاش سيدنا إبراهيم طويلاً، وهو منذ ولادته يقدم التضحيات من أجل فكرته المركزية التي كانت أهم شيء بالنسبة له، ومحور عقله وهي: طاعة الله تبارك وتعالى.

وكان الله يضرب لنا به الأمثال، لقد كان لكم فيه أسوة حسنة كرسول الله محمد ﷺ.

وسنبدأ هنا بترتيب مراحل حياته؛ لأنها ستكون سجلاً للإنسان ولهذه الأمة ليتعلم منها ويعرف ما ستكون مركزيته:

مراحل حياته:

المرحلة الأولى:

بدأت هذه المرحلة بعد أن أصبح عمره ستة عشر عاماً، وبدأ بـ:

1 ـ دعوة والده.

2 ـ دعوة قومه.

obeikandl.com

3 ـ تحطيم الأصنام.

4 ـ رميه في النار.

من أجل أن ينفّذ فكرته المركزية اجتمع كل من في القرية على رميه في النار وكان في السادسة عشرة من عمره، يا لهذا الموقف الكبير في هذا العمر؟!

المرحلة الثانية: الهجرة المستمرة بين البلاد:

1 ـ مواجهة الملك (النمرود): دعاه سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى الله عز وجل فطرده، كان هذا الملك جباراً يحكم العالم، وعندما دعاه سيدنا إبراهيم إلى عبادة الله لم يقتله، أتعرف لماذا؟ لأنه علم أن قومه ألقوه في النار ولم يُحرق، فخاف منه واعتقد أنه ساحر؛ لأن مركزية هذا الملك كانت السلطة وليس الله تبارك وتعالى، فمن الطبيعي أن يكون رجلاً جباناً وضعيفاً وخائفاً أمام رجل قوي وشجاع مثل نبينا إبراهيم عليه السلام.

2 ـ الهجرة من العراق إلى الشام.

3 ـ الهجرة من الشام إلى مصر.

4 ـ الهجرة من مصر إلى فلسطين.

لماذا ضحّى سيدنا إبراهيم عليه السلام باستقراره وماله مع العلم أنه كان رجلاً غنياً وحقق تجارة عالية، وحتى عائلته ضحّى بها؟ كل هذه الأشياء ليست مهمة في حياته فهي ليست مركزيته ولا فكرته الأساسية.

فكرته المركزية التي خطط لها وعاش من أجلها هي طاعة الله ورضاه.

المرحلة الثالثة: مرحلة الشيخوخة:

1 ـ تَرْكُهُ لزوجته هاجر وابنه إسماعيل بوادي مكة: لقد ترك سيدنا إبراهيم زوجته وطفله في الصحراء، وترك ذلك الطفل بعد أن رزقه الله تبارك وتعالى إياه في عمر الشيخوخة، وخيّره بينه وبين طفله.

2 ـ قصة ذبح إسماعيل عليه السلام.

3 ـ قصة بناء الكعبة.

4 ـ الوفاة.

منذ أن أصبح في سن السادسة عشرة من عمره رماه قومه في النار، وبعد أن نجّاه الله تبارك وتعالى هَاجَر من بلد إلى بلد، وبعد أن تزوّج ورزقه الله ﷻ بولد، أمره الله بأن يتركهما في الصحراء، وطلب منه أن يذبح ابنه وأن يبني له بيتاً، كل ذلك كان اختباراً من الله ﷻ لسيدنا إبراهيم، وليكون هو المثل والنموذج في حياة الأمم.

ضع هدفاً في حياتك لله، هناك نساء كثيرات ضحّوا لله وأخذوا الله الثواب والخير الكثير.

ما الذي يمنعك من ارتداء الحجاب؟ الناس وكلامهم؟ أيهما أهم...؟ ارضاء الناس أم ارضاء الله ﷻ، أين السعادة؟ في ارضاء الناس أو ارضاء الله تبارك وتعالى، ومن سيفوز في النهاية؟

نتائج الفكرة المركزية

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [البقرة: 124].

معنى هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى اختبر سيدنا إبراهيم عليه السلام بكل هذه الاختبارات، فعندما أتمّهن ونجح في كل اختبار وأثبت فكرته المركزية، قال الله عز وجل له: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾، فجعله إماماً للناس. وهذه الاختبارات ليست لإبراهيم فقط، بل لكل الناس، قال تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74]، فجعله الله عز وجل إماماً لكل الناس إلى يوم القيامة، فأنت عندما تصلي وتذكره فأنت تصلي عليه في كل صلاة. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120]، وتعني هذه الآية: ثوابه عند ربه بثواب أمة كاملة، فيوم القيامة توضع كل حسنات الناس في كفة من الميزان، وتوضع صالحات وحسنات سيدنا إبراهيم عليه السلام في الكفة الثانية، (هو قام بدعوة والده ودعوة قومه ورموه في النار وهاجر إلى بلاد كثيرة، وترك ماله وزوجته وابنه في الصحراء).

فأنت الآن كم تزن؟ ماذا ستقدم حتى تضعه في ميزانك؟

هناك قاعدة تقول: كن رجلاً بألف رجل فإن لم تستطع فكن رجلاً ولا تكن نصف رجل، ويقول الله عز وجل: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ﴾، ويقول أيضاً: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ﴾.

إن هذه الآيات تعني: أن الله عز وجل يوزنك حسب حالتك

الإيمانية، أي: إن كنت صابراً ومؤمناً وقوياً، فأنت تزن عشرة رجال، أما إذا خف إيمانك وقَلّ صبرك فأنت لا تزن أكثر من رجلين.

ميزان الإنسان:

ما هي مركزيتك؟ وكم تزن الآن؟ سؤالان مهمان جداً.

عندما أرسل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ عمرو بن العاص ليفتح مصر، أرسل عمرو بن العاص يطلب من عمر أن يرسل له ألف رجل يدعمون جيشه في المعركة، فأرسل له رجل واحد فقط يدعى: القعقاع ، فتعجّب عمرو بن العاص من هذا العمل، وأعاد طلبه على عمر بإرسال ألف رجل، ويسأله لماذا أرسل له رجلاً واحداً فقط؟

فغضب عمر بن الخطاب وقال: والله لصوت القعقاع في المعركة وهو يقول: الله أكبر، خيرٌ من ألف رجل أُرْسِلُهُ إليك.

وعندما بدأت المعركة وتمّ محاصرة المسلمين في حصن بابليون في مصر، احتار عمرو بن العاص ماذا يفعل، فما كان من القعقاع إلا أن وقف بعد صلاة الفجر ونادى جيش المسلمين: يا عباد الله، انصروا الله ينصركم، وما إن سمع جيش الرومان ذلك الصوت حتى ظنوا أن المسلمين سيهجمون عليهم من كل جهة فتراجعوا، وهكذا هجم المسلمون عليهم فعلاً وانتصروا بفضل الله. رحم الله عمر بن الخطّاب فمن مثله يعلم قدر الرجال.

هناك نساء في هذه الدنيا تزن مئة رجل، وهناك رجل

يزن خمسين رجلاً، وهناك من يزن عشرة أو أقل، وتحت الصفر.

إبراهيم عليه السلام كان أُمة، أنت كم تَزِن؟ إن كانت فكرتك المركزية طاعة الله، حتماً سيكون وزنك كبيراً، أما إذا أتيت يوم القيامة وأنت مسلم عاصٍ فإنك لن تَزِن جَنَاح بعوضة.

يقول النبيّ ﷺ: «**فينظر إلى كفَّة الحسنات والسيئات، فيجد أن السيئات رجحت، فيقول: ضعوا من حسناته فيجدوا أنها لا تزن شيئاً، فيكون ضخم الجثة فيلقي نفسه في كفة الحسنات، فلا تزن عند الله جناح بعوضة**»[1]، عليك أن تَزِن نفسك في الدنيا قبل أن توزن يوم القيامة، استعرضوا تاريخ حياتكم واسألوا أنفسكم ماذا جمعتم في ميزان الحسنات؟

قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: 37]، أي: أنه وفّى بعبادته وأخلاقه ومعاملته لزوجته... وفّى بكل شيء من أجل المركزية.

مركزيته طاعة الله ﷻ ورضاه، ومفاتحهما التضحية والصبر قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: 75]، معناها هنا: أنه كثير التذلل وكثير التوبة والعبادة، أواه: أي كان كثير التأوه، وعندما يذكر الله يبدأ بالبكاء من خشيته.

فلتكن لك فريضة تسير عليها وتنفذها، وعليك أن تجتاز كل الاختبارات وأن تصبر وتضحي من أجل تحقيق فكرتك

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 5/ 154).

الأساسية التي هي عبادة الله ﷻ والتذلل له.

ادخل إلى غرفتك وأقفل بابك وابدأ من جديد بوضع خطة جديدة، واعبد ربك وتذلل له بإخلاص، واطلب من الله ﷻ أن يساعدك، وأن لا يجعل وزنك جناح بعوضة عندما تَلْقَاه، واعلم أنك لو عبدته وكان مركز حياتك ستعيش حياة سعيدة لا مثيل لها.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125]، يعني إلى درجة الحب لإبراهيم، لذلك هو خليل الله تبارك وتعالى.

يقول نبينا ﷺ: **«ألا إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، ألا وإن موسى نجيّ الله وهو كذلك، ألا وإن آدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وإن عيسى كلمة الله وهو كذلك، ألا وإني حبيب الله ولا فخر»**[1].

فبقدر ما يكون مقام الله ﷻ في قلبك يكون قدرك يوم القيامة، أنت الذي تختار شكل العلاقة.

كان في زمن النبيّ ﷺ رجل يدعى: معاوية بن معاوية المزني، وكان الرسول يحبه حباً شديداً، وعندما ذهب الرسول مع جيشه إلى معركة تبوك لم يذهب معهم لأنه كان مريضاً. ولمّا مات معاوية نزل جبريل عليه السلام من السماء من أجله خاصة، وقال للنبيّ ﷺ: قم يا محمد وصلِّ على معاوية فلقد مات هذه الليلة، فيقول النبيّ ﷺ: **«في هذا الليل وهذا البرد القارس فلننتظر للصباح»**

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 3148)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4308)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 1/ 5)، و(الحديث: 1/ 281).

أي: الفجر، فقال جبريل عليه السلام: ينتظرك في الباب صفين من الملائكة ما نزلوا من السماء من قبل هذا اليوم، فلما مات معاوية استأذنوا ربهم أن ينزلوا ليصلوا عليه، قال النبيّ ﷺ: «**ماذا فعل معاوية؟**» قال جبريل عليه السلام: لقد عاش هذا الرجل لله عز وجل وكان يحب سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1].

وكلنا يعرف قصة سيدنا أُبي بن كعب رضي الله عنه ونزول سورة «البيِّنة»، عندما قال له النبيّ ﷺ: «**يا أُبي، أمرني ربي أن أقرأ عليك هذه السورة**»، قال أُبي: يا رسول الله، أسمَّاني ربي؟ قال النبيّ: «**نعم، قال لي: اقرأ هذه السورة على أُبي فإني أحبه**»[1].

فنحن إن شاء الله الفائزون في الدنيا وحتى يوم القيامة بهذا الدين العظيم، انظر محبة الله تبارك وتعالى للناس الذين أحبوه ومدى إكرامه لهم.

ذهب أحد الصحابة قبل يوم من وفاته وقال للرسول ﷺ: ادعو الله لي أن أموت شهيداً، قال له النبيّ ﷺ: «**يقول الله عز وجل: إن من عبادي من يموت في فراشه سيموت شهيداً**»[2]، في اليوم التالي مات هذا الصحابي وكان عمره اثنان وعشرون سنة، فخرج الرسول ليدفنه فقال لسيدنا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وهما يحملاه: «**ادنوه**

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3809)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 1862)، أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3792).

(2) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 4907)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 1520)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 1653)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 3162)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 2797).

مني»، فاحتضنه وقبّله وقد نزلت دموعه على الكفن ورفع يديه إلى السماء، وقال بعد أن دفنه وصلى عليه ونزل إلى قبره لتكن رحمة عليه: **«اللهمّ أشهدك أني راضٍ عنه، اللهمّ أشهدك أني راضٍ عنه فارض عنه، اللهمّ أشهدك أنه قد وفى»**، وكان اسم الصحابي: ذو البجادين.

إن أول شخص يُكسى يوم القيامة هو سيدنا إبراهيم عليه السلام، ودعاؤه مستجاب، وأمته مستمرة إلى يوم القيامة، كل ذلك بفضل عمله وفكرته المركزية التي خطط لها وعاش من أجلها، وبذل كل التضحيات التي ذكرناها فنجح، فأثابه الله ﷻ وأجزاه بما صبر.

وأنت ماذا سيكسيك في الآخرة؟ هل ستكون عرياناً أم هل ستجد شيئاً تكسى به؟! فليكن الإيمان اذن.

بعض مهارات الحياة

إذا كنت تريد أن تصلح في هذه الأرض وتنجح في عملك، يجب أن يكون لديك مهارات، حتى أصحاب الدعوة إلى الله هم بحاجة إلى تلك المهارات لإيصال الدعوة إلى الناس بشكل صحيح.

الصفات الأساسية والمهمة جداً للعمل والمعاملة هي:

1 ـ فن الحوارات والتعامل.

2 ـ المبادرة الإيجابية.

3 ـ الفن العقلي.

4 ـ كيف تخطط لفكرتك.

المواجهات في حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام

بدأت مواجهاته وهو في سن السادسة عشرة وهي:

1 ـ مع والده.

2 ـ مع قومه.

3 ـ مع الملك.

4 ـ مع عبدة النجوم.

1 ـ **مع والده**: كان والد سيدنا إبراهيم عليه السلام كافراً، قاسياً جداً وعنيفاً، يصنع الأصنام لمدينة بابل في العراق، والتي يعبدها قومه وكانت مصدر رزقه.

2 ـ **مع قومه**: كانوا من العراق، قوم كُفْر وعِنْد وتكبّر، يستهزئون بكل من وجدوه ضعيفاً .

3 ـ **الملك**: هو الملك نمرود، كان يقول عن نفسه بأنه الإلٰه، وهو أعظم وأقسى الملوك على الأرض.

4 ـ **عبدة النجوم**: هم فلاحون طيبون بسطاء، يبحثون في النجوم ليعرفوا من إلاههم.

مهارة أدب التعليم:

1 ـ **مع والده**: عندما أصبح سيدنا إبراهيم عليه السلام في الرابعة عشرة من عمره، بدأ يكلم والده عن عبادة الأصنام وأنها لا تصلح

ولا تستحق كل هذا التقديس، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: 42]، يقول له بكل لطف ومحبة واحترام ولين: أنها لا تسمع لا تعقل ولن تفيدك بشيء، فارتد عنها وعن عبادتها، أعاد عليه وقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم: 43]، لم يقل له: إنك رجل جاهل ولا تفهم وأنا أعلم وأفهم منك، هناك أناس كثيرون لا يعرفون كيف يتعاملون بكلام جميل مع والديهم، ويعاملونهم بطريقة فجة وقلّة احترام ولا مبالاة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: 44، 45].

انظر إلى فن التعامل مع والده، إنه يكلمه بالحسنى وبالرقة وبكل محبة واحترام، فقد قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: 23].

ماذا تعني: بمجرد أنه همس أو نظر نظرة غل إلى والديه... أو قال: أفٍ لهما تنزل في كفة السيئات ما يعادل ذنوب سنة، يا ترى من هو المسؤول الأهل أم الإعلام أم الأصدقاء؟ يقول النبيّ ﷺ: **«من أحدَّ النظر إلى والديه فأنا منه بريء»**.

أعرف والداً خصص غرفة من منزله الصغير ـ رغم معارضة زوجته ـ ووضع فيها لعبة تسمى: (البينغ بونغ) أو التنس، حتى

يلتقي مع أولاده ويكون قريباً منهم، وقال لزوجته: هذه ستحافظ على علاقتي بأولادي، نريد أن تتعاملوا هكذا فتتقربوا من أولادكم وآبائكم.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم: 46]، يقول له والده: سأضربك بالحجارة وأطردك من البيت، عليك أن تكف عن هذا الكلام وأن تعبد ما يعبد آباؤك وقومك، فما كان رد إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم: 47]، أي: مني لك كل سلام ومحبة ورحمة، هذه هي مهارة فن التعامل والدعوة.

2 ـ **مع قومه**: قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنبياء: 55]، كان قومه إذا وجدوا شخصاً ضعيفاً استهزؤوا به، فعرف كيف يتعامل معهم فلم يواجههم كما فعل مع والده، بل كان قوياً وحازماً وجاداً، علم متى يكون شديداً ومتى يكون ليناً.

قال تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء: 57]، وقال أيضاً: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنبياء: 66]، وأيضاً: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: 67].

تعامل مع كل شخص وفق ما يحتاجه، فوالده لا يجوز أن يتعامل معه إلا بالحسنى واللطف والرحمة، أما قومه فلا تنفع معهم

هذه الطريقة، بل عليه أن يكون شديداً وقوياً، فهو مرسلٌ برسالة ربانيّة وعليه أن يوصلها.

3 ـ **الملك**: كان جباراً ورهيباً، كيف سيتعامل معه؟ مثل والده أم مثل قومه؟ أم مثل الناس الذين يعاملون الملوك برهبة وخوف وتذلل؟ انظر كيف دخل على ذلك الجبار وبدأ بمحاورته وبطريقة الواثق من نفسه والمعتز بفكرته، قال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258].

أي: أنت تَدَّعي الربوبية وإلٰهي هو الذي يحيي الناس وهو الذي يميتهم، كلّمه بطريقة دبلوماسية... ليس عيباً أن تنزل إلى الناس كلٌّ حسب مركزه ومنصبه، المهم أن تصل رسالتك.

انظر إلى سيدنا محمد ﷺ عندما بعث برسائل إلى الملوك ليدعوهم إلى الإسلام ماذا قال لهم:

«من محمد رسول الله وخاتم الأنبياء إلى هرقل عظيم الروم، ومن محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم مصر، ومن محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة»[1].

انظر تعامل سيدنا إبراهيم مع والده بكل محبة، ومع قومه بمنتهى القسوة، أما مع الملك بالدبلوماسية (أي: بالحوار)، أما مع عبدة النجوم بكل بساطة.

هناك رجال لا يعرفون كيف يتعاملون مع النساء إلا بالشدّة، عليك أن تعامل المرأة كلٌّ حسب عقلها وثقافتها

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 1/ 263).

وتعليمها أو كبر سنها، هناك رجال لا يفرّقون بين امرأة وأخرى.

المبادرة بدون خجل

طُرِدَ سيدنا إبراهيم عليه السلام من بلده أربع مرات، وكان بعد كل مرة يعود ويدعو الناس، لم يخجل من ذلك؛ لأنه مُصِرٌّ ومثابر.

علّموا أولادكم على المثابرة والمحاورة والمشاركة، وأن يبتعدوا عن الخجل والتردد؛ لأنه مرض نفسي عليكم معالجته. ومستقبلاً يؤدي إلى الخجل من إظهار الحق وهي مشكلة في الشخصية، ومن مسؤوليّة الأهل تقويم ذلك وتكرار المحاولة.

يقول بعض الناس: أنا أخجل أن أُهان أمام الناس وأمام الله ﷻ هذا شيء مختلف.

فيا أيها الشباب، تعلموا من إبراهيم المبادرة، فأنا أرى الشباب كل يوم يخرجون بمبادرات جيدة وهذا شيء جيّد.

أول شخص ذهب إليه ليدعوه كان والده (هذه هي المبادرة)، وكان صاحب الفعل ولم يكن أبداً صاحب رد الفعل لماذا؟ لأن صاحب رد الفعل يكون ضعيفاً، ولهذا السبب أصبح المسلمون ضعفاء، استمر على الفعل والمبادرة.

ولكن احذر من الحماسة والهوجاء، عليك أن تختار الوقت والمكان المناسبين، مبادرة فيها عقل واتزان متى؟

ومع من؟ وكيف؟ كل هذا مهم من أجل تحقيق الهدف.

ذهب إبراهيم إلى كبار قومه وهو في السادسة عشر عاماً، هذه هي المبادرة، كان يعلم أن قراره سيؤول به إلى النار ولكنه لم يتراجع، بل قال لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾.

المبادرون هم الذين يصنعون التاريخ، تخيل معي أنك توفيت ووضعوك في النعش وحملك أصدقاؤك وسار وراءك الناس، وأنت في النعش، سمعت الناس الذين يحملونك يقولون: ماذا فعل هذا في حياته؟ ماذا أضاف في هذه الدنيا؟ ماذا يكون موقفك؟

سيدنا إبراهيم دعا والده وقومه فرمَوْه في النار، وهاجر من بلد إلى آخر، ووقف أمام ملك جبار بلا خوف، وترك زوجته وابنه في الصحراء، أنت ماذا قدمت وأضفت إلى هذا العالم؟

شجاعة وحكمة

بعد أن حطَّم جميع الأصنام ترك أكبرها وعلَّق عليه الفأس الذي حطّمها به، ولكن... لماذا يحطّمها كلها وأبقى عليه؟!

هناك شيء يخطط له، فأخذوه إلى الملك ولكنّه لم يهتم، وقبل أن أكمل تعال واسمع معي هذه القصة...

بعث سيدنا سعد بن أبي وقاص أثناء معركة بين المسلمين والفرس الصحابي «ربعي بن عامر» ﷺ إلى ملك الفرس «رستم»؛ لأنه طلب منهم إرسال شخص منهم ليعلم ماذا يريدون، فكان هذا

الصحابي الجليل إنساناً بسيطاً وواثقاً من نفسه ومن دينه، وأراد الملك أن يُبهره فطلب من حاشيته أن يفرشوا الصحراء بالسجاد على طول المسافة بين قصره وبين جيش المسلمين ثم ملأ الطريق بالجواري والحاشية والزينة، فما إن وصل الصحابي ونزل عن فرسه ومعه حربته وسار إلى القصر، حتَّى أخذ بتمزيق السجاد دون مبالاة أو قصد خلال سيره.

فيدخل ربعي بن عامر ﷺ ويقول له: أيّها الملك، جئنا إليك بعد طلب منك، جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

من هو الغالب هنا؟ من هو الواثق من فكرته أكثر؟

هناك نساء يفضلون من ارتداء الحجاب؟ أين المبادرة؟ أين الثقة بالنفس، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: 2]، لا تفضل من دينك والله ﷻ هو عزتنا وكرامتنا فارفع رأسك به دائماً.

ونعود إلى قصة سيدنا إبراهيم... رأيناه كيف دخل على الملك وهو في عمر السادسة عشر وقال له: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258]، وهو الذي بدأ بالكلام أولاً فرد عليه الملك: هذا شيء بسيط أستطيع أن أحضر اثنين من السجن وآمر أن يُعدم هذا ويترك ذاك فأنا هنا أحيي وأميت، فلم يجادله إبراهيم بل انتقل إلى موضوع آخر، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾، فَبُهِتَ الملك ومن معه وكان إبراهيم يتكلم بكل ثقة وقوة وشجاعة، لقد علموا لو قال له الملك: آتي بها

من المشرق ودع ربك يأتي بها من المغرب، إن إبراهيم حتماً سيجد ما يرد عليه، ويبهتهم جميعاً.

قال النبيّ ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه**»[1].

مهارات... لا بد لك منها:

مهارات عليك أن تتصف بها... ولتكن صفة في شبابنا:

1 ـ مهارة الحوار والاتصال وأدبيات التعامل مع الناس.

2 ـ كن مبادراً.

3 ـ عرض فكرتك بإيجاز: كيف تستطيع أن تعرض الإسلام في نصف دقيقة وأن تقنع به من حولك؟

عندما هاجر سيدنا جعفر بن أبي طالب ﷺ ومن معه من المسلمين من مكة إلى الحبشة، ذهب عمرو بن العاص ـ ولم يكن قد أسلم بعد ـ وقال للنجاشيّ: نريد أن تعيد لنا هؤلاء الناس، فطلب الملك إحضارهم إليه واستمع إليهم أولاً، وماذا يقولون في هذا الدين الذي جعلهم يتركون بلادهم وقومهم ويأتون إليه لأجل نصرته وإعزازه:

فوقف سيدنا جعفر بن أبي طالب بدون أي تجهيز أو تخطيط لما سيقوله للملك، رتب أفكاره وبدأ يشرح للملك هذا الدين بطريقة سهلة وقصيرة.

---

(1) ذكره ابن حجر في «المطالب العالية» (الحديث: 2727).

وقسَّم الموضوع إلى خمسة أجزاء:

1 ـ عرض مساوىء الجاهلية: كان القوي منَّا يقتل الضعيف، ونقطع الأرحام، ولا يرحم بعضنا بعضاً.

2 ـ جاءنا رجل من بيننا نعرفه ونعرف نَسَبَه، وخُلُقَهُ وفَضْلَهُ.

3 ـ أمرنا أن نصل الرّحِم، وبإقامة الصلاة، وأن نكرم الضعيف ونرد الأمانة.

4 ـ بدأت العداوة بيننا وبين قومنا فعذبونا واضطهدونا.

5 ـ جئنا إليك واخترناك على سواك.

عرض الإسلام ومحاسنه وعرّف عن نبيه بهذه الكلمات، فقال له الملك: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

لا بد أن الرسول ﷺ كان عندما يجتمع بالصحابة في دار الأرقم، يعلّمهم كيف يدعون الناس إلى الإسلام، وكيفية توصيل هذا الدين بالطريقة السهلة التي يفهمها الناس ويقتنعون بها بسرعة.

انظر إلى إبراهيم عندما حطّم الأصنام وترك كبيرهم وعلق في رقبته الفأس، فعندما حضر قومه سألوه: من فعل هذا؟ ومن حطم تلك الأصنام؟ قال إبراهيم: لا أعرف اسألوا كبيرهم هو الذي فعل ذلك، لا بدّ أنه قد أحس بالغيرة منهم فضربهم، فنكسوا رؤوسهم وعرفوا أن هذه التماثيل جماد لا تنطق.

عبدة النجوم:

انظر كيف تصرّف مع عَبَدَة النجوم، عندما أتى الليل ذهب هؤلاء القوم إلى الساحة ليتأمّلوا النجوم؛ فهم يعتبرونها الإله، فخرج

معهم ليشاركهم النظر إلى النجوم، وقال لهم: هذا ربي! وبعد قليل اختفى النجم، فسأل: أين ربي؟ فقال له رجل: غداً سوف يعود. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾، ثم قال لهم: سأختار إلٰهاً أكبر منه فهذا القمر أكبر من النجوم لنرى، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾، انظر إلى الطريقة التي يحاورهم بها نزل إلى عقولهم وبساطتهم وبدأ يفهمهم الأمر شيئاً فشيئاً، ولكن ماذا حصل بعد ذلك؟ قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، إذن اختفى القمر أيضاً، فالنجم صغير والقمر أيضاً وهما ليسا ثابتان في مكانهما، لماذا لا نختار الشمس؟! هي أكبر وأقوى وتظهر في النهار، فلما حضروا في اليوم التالي نهاراً: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾، انظروا حتى الشمس الكبيرة والشديدة الحرارة والقوية رحلت واختفت ولم تثبت في مكانها، وإن لم يهدني ربي لأكونن من الضالين.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: 79]، بدأ معهم في حواره من أصغر شيء إلى أن وصل إلى الشمس، حتى أقنعهم بضلال ما يفعلون، ولم يقل منذ البداية: هذا حرام لا تعبدوه، حاول إقناعهم وإفهامهم أن هذه الأشياء تأتي وتختفي فلا تستحق أن تكون إلٰهاً ونعبدها. منهج عقلي رهيب هذا هو الإسلام وهذا كله من القرآن، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: 78 ـ 82]، أي إن آلهتكم يحدها الزمان والمكان، أما إلٰهي

فليس له زمان أو مكان محدد، هو موجود دائماً بكل وقت وفي أي مكان في هذا الكون، منهج عقلي رهيب، ومهارات وتقنية وأفكار قوية نتعلمها من هذا النبيّ الكريم.

هدفنا تصفية كل أفكارنا بعد أن نضبط لها بدقة وحكمة وصبر، واتقان فن الحوار والتعامل مع الناس كل ذلك مهم لإيصال رسالتنا ودعوتنا الى الله ﷻ.

التوكل على الله

لمن يطلب الرزق خشية على أولاده، لمن تتأفف وتخشى على نفسها لأنها لم تتزوج بعد، لمن يخشى البطالة، لمن يخشى على نفسه من سوء الحالة الاقتصادية، لمن يخشى على أولاده من صحبة السوء... لا تخشى شيئاً ولا تقلق، تحرك واعمل واجتهد وأدِّ ما عليك، ثم اترك نفسك لله.. دع الأمور لله وتوكل عليه. تذكرَّ أن من أسمائه الحسنى (جل وعلا): الوكيل.

والوكيل: الذي يتصرف برحمته وإحسانه في شؤون عباده، فيصرِّفها للخير، ولا يسلمها للشر أبداً.

فالوكيل لن يضيِّعك بشرط أن توكله قبل ذلك. ولهذا ترى النبيّ ﷺ يقول حين توفي ابنه: **«لبّيك وسعديك، والخير كله بيديك، والشر ليس إليك»**[1].

---

(1) أخرجه **الحاكم** في «المستدرك» (الحديث: 2/ 363)، وذكره **الدارقطني** في «السنن» (الحديث: 1/ 298).

فالله تعالى وكيل بتصريف أمورك دون أن تطلب منه، فكيف لو طلبت ذلك؟ لكن المهم أن تتكل عليه بقلبك ووجدانك.

انظر إلى صُنع الوكيل منذ أن خُلِقت وإلى الآن، جنين في بطن أمك، وهي لا تستطيع إطعامك، فيرسل لك طعاماً وأنت في جوفها عبر الحبل السرّي فتتغذى عن طريق الدم، وعندما تأتي للحياة، تبكي وتصرخ؛ لأنك فقدت رزقك، فيستبدل لك الدم بشيء خير منه، ألا وهو اللبن من ثديي الأم... بدل المورد موردان.

وتُفطم فتبكي؛ لأنك فقدت مورد رزقك، فيرسل إليك الوكيل طعامين وشرابين، لحم الحيوان والنبات، واللبن والماء.

ويأتيك الموت فتبكي لأنك ستفقد الرزق الذي تعوّدت عليه، فلو كنت صالحاً فُتِحت لك أبواب الجنة الثمانية، وقيل لك: ادخل من أيها شئت، وكلما بَكَوْتَ زادك؛ لأنك جاهل بمن يصلح أمور حياتك. فالله تعالى تولى أمور حياتك دون أن تطلب منه، فما ظنك لو طلبت منه؟

هذه هي قصة الرزق معنا، فارضَ بالله وكيلاً. أصلح في الأرض، خُذ بأيدي الناس، قل الحق ولا تخشى لومة لائم. أصلح في الكون ولا تخشى على رزقك، فقط اتكل عليه، أرأيت حين تذهب للشهر العقاري وتقول: وكلت فلان على جميع أموالي، إن كان لك ثقة به ستُوَقّع بدون خوف، وإن لم يكن لك ثقة به سترتعش يداك. فما بالك بالله تعالى الذي يعطي ولا يأخذ؟ فاتكل على الله الذي لا تضيع ودائعه.

انظر إلى أولئك الذين يذهبون لعيادة طبيب حاذق ومشهور، وينتظرون بالساعات حتى يستأمنوه على حياتهم، فكيف نثق بالعباد ولا نثق بالمعبود، بالوكيل الأوحد لهذا الكون؟!

هل تعرف كيف تطرد النار؟ تقول: حسبي الله ونعم الوكيل؛ لأنها تعني: الاتكال الكامل على الله تعالى، ولكن لا تقلها إلا أن تمكن قلبك منها.

ولننظر إلى صفة الوكيل في أربعة مواقف من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام:

الموقف الأوّل:

قصة الأصنام: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: 58 ـ 60].

مما يرجّح أن عمره كان آنذاك لا يزيد عن الستة عشرة عاماً، فهذا أقصى عمر نحدد به كلمة فتى.

أتستطيع أن تأتي بهذا؟ الدليل الحجارة؟

هل تستطيع أن تقف أمام كل الناس لتظهر الحق وتزهق الباطل؟!

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الصافات: 94]، أي: اجتمع قومه على ضربه وسبابه وشتمه وإيذائه بكل أنواع العذاب. فليس قليل أن نذكره في كل صلاة (الصلاة الإبراهيمية)!

لهذا حينما رُزق النبيّ ﷺ بمولود لم يجد أفضل من اسم سيدنا إبراهيم: ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنبياء: 61، 62]، نعم إنه التوكل على الله... أن تقدم على أمرٍ جللٍ كهذا؟! لا بد وأن يكون داعم هذا الأمر هو «التوكل على الله».

لذا يا أخي العزيز، توكل على الله تكن قوياً، ولا تخشى إلا الله، طبّق قصة إبراهيم على حياتك، وكن أنت سيد نفسك ولا تستسلم لضعاف النفوس فتضلّ وتشقى، ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: 63]، تصور قوة القلب والجرأة التي كان يتمتع بها سيدنا إبراهيم عليه السلام في هذا الموقف! ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ الأنبياء: 64]، اضطهدهم وبهتهم، فأخذوا يتحاورون فيما بينهم: هو على بيّنة، لكن كيف؟ ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنبياء: 65]، وبدون خوف يرد عليهم: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: 66، 67].

أرأيتم التوكل على الله؟

أتقدر أن تأتي برُبع جرأته؟ أتقدر أن تأتي بخُمس توكله؟

يا شبابنا، يا نساءنا، نريد منكم التوكل على الله حتى تصلح أحوالنا. ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ *[الأنبياء: 68]*.

قال النبيّ ﷺ مرة: «**من يُسمِع قريش القرآن؟**»، قال عبد الله بن مسعود: أنا يا رسول الله، فيقف عبد الله بن مسعود في

وسط مكة ويتلو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن: 1 ـ 4]، فتقول قريش: من ذا ينادي بهذا؟ فيقال: هذا ابن مسعود، فأتوه فضربوه بالنِّعال حتى لكأنه يموت بين أيديهم، فيقول للصحابة رضي الله عنهم: والله لأعيدنها غداً. أتستطيع أن تأتي بمثله.. فيعيدها في اليوم الثاني فيقول للصحابة: والله ما رأيتهم أضعف من اليوم، والله لأعيدنَّها غداً، حتى نهاه الرسول ﷺ عن ذلك.

وانظر أي انتقام وتعذيب ينتظر سيّدنا إبراهيم... قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ۝٩٧﴾ [الصافات: 97]، استغرق تشييد البنيان واشتعاله أربعة أشهر، وطوال هذه المدة وسيدنا إبراهيم مكبَّل بالحديد، وقد بنوه خارج المدينة حتى لا تحترق.

وكانت المرأة فيهم تقول مثلاً: لإن شفيت الآلهة ابني سأخرج وأُساعد في بناء بنيان حرق إبراهيم.

تخيل كم من حطب سيُجمع ويُقام في هذا البناء؟

أربعة أشهر وإبراهيم مقيد، والخطة جارية مجرى التنفيذ. الآلاف خرجوا ليتشفُّوا في إبراهيم الذي حطَّم آلهتهم. ومن شدة اللهب كانت الطير إذا مرَّت فوق البنيان سقطت من حمم النار.

فلماذا برأيكم لم ينزل المطر ويحمي إبراهيم من الحرق؟ ليرينا الله القادر على كل شيء عظمة قدرة «الوكيل». ويؤخذ سيدنا إبراهيم عليه السلام، فيرى البنيان ويقول في قلبه: «حسبي الله ونعم الوكيل».

وبقي لديهم مشكلة... من يرمي إبراهيم في النار؟ فمن اقترب معه منها لا بد وأن يحترق، فجاءت فكرة المنجنيق... وأخذوا يقيمون التجارب على أجسام وأخشاب وزنها من وزن إبراهيم، فتسقط مرة خارج النار، ومرة بالقرب منهم، ومرة فيها، كل هذا وإبراهيم عليه السلام ينظر.

لماذا كل هذا يا سيدنا إبراهيم؟

لأنه لا بد أن يأخذ بأيدي الناس أحد فيصلحهم ويجمع أمرهم.

ويؤتى بإبراهيم وهو يقول: «حسبي الله ونعم الوكيل» والآن تخيل معي هذا المشهد، سيُشد المنجنيق، فيأتيه سيدنا جبريل ويقول: يا إبراهيم، لك حاجة؟ فيقول: أما لك فلا، وأما لله فحسبي الله ونعم الوكيل، ويقذفونه بالمنجنيق، فيطير إبراهيم ويسقط في البنيان، فتفرح المدينة، وترفع الراية: انتصرنا، انتصرنا.

هم قالوا: حرِّقوه، لكن ماذا قال الله تعالى؟

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: 69]، يا نار، غيِّري الخاصية التي ميزتك بها منذ خلقتك. وهل يصعب هذا على الله؟ حاشا لله.

الذي قال للنار: لا تحرقي، هو الذي قال للسكين: لا تذبحي، هو الذي قال للصحراء: أخرجي ماءً ونجِّي نوحاً، هو الذي نجَّاك سنين كثيرة وأنت تنساه.

كان ولم يزل وكيلك، لكنك لو توكلت عليه، لأراك بعينك بدائع ومعجزات وكالته.

وانتبه، لو قال الله تعالى: كوني برداً فقط، لمات من شدة البرد، ولو قال: كوني برداً وسلاماً فقط بدون «على إبراهيم» لتغيرت أوصاف النار إلى يوم القيامة، لكنه يريدها برداً وسلاماً على إبراهيم فقط لحقِّ توكله على الله.

ومضى إبراهيم عليه السلام ثلاثة أيام في النار، فماذا حصل؟

حطَّمت النار القيود التي على يديه ولم تلمس ثيابه.

روي أنه سُئل إبراهيم وهو في آخر أيام حياته: ما هي أجمل أيام عمرك؟ قال: الأيام التي قضيتها في النار، قالوا: كيف؟ قال: لم أستشعر بحلاوة القرب من الوكيل كتلك الليالي. «حسبي الله ونعم الوكيل»، كلمة قالها إبراهيم حينما أُلْقِيَ في النار، وقالها موسى عليه السلام حين قال له أصحابه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: 26]، فانفلق البحر نصفين.

وقالها محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه حينما قيل لهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173].

كان الرسول ﷺ مرة نائماً في الصحراء، قد علق سيفه على شجرة، فأتى أعرابي وأخذ سيفه وقال له: من يمنعك مني يا محمد؟ ووضع السيف في عنقه الشريفة عليه السلام وقال: أتخافني يا

محمد؟ فيقول عليه الصلاة والسلام: «**لا**»، فيكرر: من يمنعك مني يا محمد؟ فيقول: «**الله**»، فيسقط السيف من يد الرجل من قوة كلمته ﷺ، فيأخذ النبي سيفه ويضعه في عنقه، ويقول: «**وأنت من يمنعك مني؟**»، قال: يا محمد، كن خير أخٍ[1].

عندما كنا صغاراً، إذا استشعرنا بالخوف نلجأ إلى أمنا نختبئ عندها، وحينما أصبحنا شباباً، أصبحنا نلجأ لأبينا؛ لأنه الأقوى والأجدر، ألا يجدر بنا حينما نصبح صحاحاً ناضجين أن نلجأ إلى أقوى الأقوياء؟ «حسبنا الله ونعم الوكيل».

يا أخوتي، وهل يتعلق الغريق بالغريق؟ أتستعين بمن هو مثلك؟ فكلنا غرقى الى أن ينقذنا الله تبارك وتعالى.

هجرة إبراهيم عليه السلام:

وكانت النتيجة، أن خرج سيدنا إبراهيم من النار، ولم يُصَب بأذى، تخيَّل الكِبْر لدى القوم! ويضطر إبراهيم عليه السلام أن يهاجر دون أن يسلموا لله، وهل الهجرة كلمة صغيرة وانتهى؟

ويهاجر إبراهيم عليه السلام للمرة الثانية، ويتزوج فيها السيدة سارة التي كانت من أجمل نساء الأرض. فقد قال النبيّ ﷺ: «**ما خلق الله أجمل من سارة إلا حواء**»، وتذكر أنه أتى من نسلها نبي آخر يوسف عليه السلام، فتخيل... سارة، يوسف وحواء، مما يعني أن المتدينين هم الأجمل في الأرض وليس العكس، كما يظن بعض

---

(1) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 3/ 365)، و(الحديث: 3/ 390)، وأخرجه **الحاكم** في «المستدرك» (الحديث: 3/ 39).

الناس بأن المتدين أو المتدينة يجب أن يكونوا قبيحي المنظر. والدليل: سارة وحواء وغيرهما.

ويهاجر إبراهيم عليه السلام إلى الشام، متوكلاً على الله، يريد أن يرفع راية الدين عالياً، يدعو مع سارة عبدة الأصنام لعبادة الله فيهددوه بالقتل للمرة الثانية، وينجو.

وفي المرة الثالثة التي هدّد فيها بالقتل، حاول إقناعهم بالعقل والمنطق فيقول: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الأنعام: 81]، إلى قوله: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، من الذي يجب أن يخاف أنا أم أنتم؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ [الأنعام: 82]، يا متوكل أنت في قمة الأمن، والله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: 83]، فسكتوا، فنجا منهم بالعقل والحكمة التي آتاه الله إياها، فيخشى الملك منه ويطرده وينجو من القتل للمرة الثالثة.

ويهاجر في المرة الرابعة إلى مصر، حيث كان هناك ملك جائر عرف أن إبراهيم عليه السلام آتٍ ومعه امرأة من أجمل نساء الأرض، فيأمر حراسه: ائتوني بهذه المرأة فإني أريدها لنفسي، وإن كان هذا الرجل زوجها فاقتلوه، فيأتي الحراس للسيدة سارة ويسألوها عن إبراهيم عليه السلام إن كان زوجها فترد: لا، بل هو أخي - انظر معي إلى المعنى في التوكّل على الله، فالتديّن وحُسن التصرف والذكاء هما أساس التوكل على الله - لا هو أخي. لا تخف الوكيل لن يضيعك.

فيأخذوها للملك، فيَهمّ أن يلمسها، فتقول: اللهمّ إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرَسولك وحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تجعل هذا الفاجر يلمسني، فشُلّت يد الملك[1].

يا إخوتي، أترون الوكيل؟ أترون كيف يدافع عنكم في جميع أموركم؟ وانظر بماذا توسلت السيدة سارة، توسلت بعفتها ولهجت للوكيل.

ولما شلت يد الملك هَمَّ الحراس أن يقتلوها، فتقول: يا رب، فُكّه لئلا يقتلونني به، فتُفك يد الملك، فيعاود المحاولة للمسها ثانية، فتُشل يد الملك، فيقول لها: فكيني والله لن ألمسك ثانية أبداً. ومدها بمال وحلي وجارية اسمها: هاجر (مصرية)، سيأتي منها سيدنا إسماعيل عليه السلام.

هل ترى سير الأحداث؟ سير الأحداث يؤكد أن الله اسمه: الوكيل.

حكايات تدل على الوكيل ﷻ

سأروي لكم بعض الأحداث التي تدل على عظمة الوكيل...؟

سجن رجل بقضية سرقة وكان بريئاً، فجاء شيخ إلى السجن يقدم المواعظ للمساجين، وقال له: اتكل على الله، فرد عليه: إني تائه منهار وأنا بريء، وقد تركت في البيت زوجتي ومعها طفل رضيع، وليس في البيت غير خمسين قرشاً والطفل مريض، وتقول لي: اتكل على الله؟! فيعاود معه الشيخ من جديد حاول ولو

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3358)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6067).

بقلبك، فيقول له: سأحاول. وتمضي الأيام سنة وسنتين، ويخرج من السجن.

فيقابل الشيخ، ويقول له: يوم دخلت إلى السجن وبكيت؛ لأن زوجتي وابني لا يملكان أكثر من خمسين قرشاً، وكان ابني مريضاً، فتوكلت على الله ودعوته فاستجاب لدعائي فلقد قالت لي زوجتي عند خروجي من السجن: في يوم كذا عند الساعة الثانية مساءً قُرِعَ جرس الباب ـ في ذلك الوقت كنت قد توكلت على الله ودعوته ـ فقالت زوجتي: من؟ قال: أنا الطبيب، أين المريض؟ فدخل وكشف على ابني، وزوجتي لم تفهم شيئاً، أعطاها دواءً، وقال لها: سيكون ابنك معافًى في الصباح.

فسألته: ما الذي جعلك تقصد شقتنا في هذا الوقت المتأخر؟ فقال: أليست هذه شقة 24؟ فقالت: لا إنها شقة 25، أخطأ الطبيب بالشقة!! فسبحانه الوكيل على عباده.

في اليوم الثاني بعثت زوجتي بابني الأكبر ليشتري طعاماً، فوقع منه الطعام على الأرض، فناداه بائع الفول: يا ولد، ماذا حصل؟ فقال له: لقد أمسكوا أبي وهو بريء. فقال لزوجتي: لا ترسلي ابنك من الغدِ فصاعداً، سيأتي الطعام وفوقه خمسون قرشاً كل يوم.

وكان راتب هذا الرجل يومياً خمسون قرشاً.

انظر لكأن الله تعالى يقول له: توكل على الله، وأنا أتكفل لك برزق أولادك.

ألا تذكر قول النبيّ ﷺ عندما كان في غار حراء، وقال له أبو بكر: لو نظروا تحت أقدامهم لوجدونا فقال: **«يا أبا بكر، فما ظنك باثنين الله ثالثهما»**[1].

أعرف رجلاً ضاقت في وجهه الدنيا، حتى قال: لم أعرف مكاناً في الأرض أذهب إليه، وكانت ليلة السابع والعشرين من رمضان، فدخل وطاف بالحرم وقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فشده رجل من ثيابه، وقال له: رأيت رؤيا البارحة، فقد رأيت رسول الله ﷺ يقول لي: قل لفلان ستتعب سنة، ثم سيكرمك الله بعدها إن شاء الله. وعندما خرج من الحرم، وجد رجلاً أخذه من يده وقال له: ستذهب مكاناً معيناً وتعيش فيه معززاً مكرماً. فقال هذا الرجل: دخلت الحرم ولم أعرف أين أذهب وأتوجه، وخرجت من الحرم معززاً مكرماً فقط لأنني وكلت أمري إلى الله.

اتركوا صلاة الوكيل يا إخوتي.

اتكلوا على الله، وكّلوه في جميع أموركم، وصدقوني لن يضيعكم أبداً.

توكل على الله باختيارك ينعم بحياتك:

الله وكيلٌ بك جَبراً، ألك يد في تسيير ضربات قلبك؟ فكيف لو جعلته وكيلاً باختيارك؟ والله، ستنعم بحياتك... وأنا أتحدى أي

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3653)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6119)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3096).

مخلوق أن يقول: وكلته وخذلني، لا بد وأن يكون هناك خللاً، إما أن تكون وكلته بلسانك وأهملت قلبك، وإما أنك لم تتكل عليه أصلاً.

اسمع قول الله ﷻ في هذه الآية التي تبيّن أنه يريد توكلك: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 123]، وبما أن كل شيء أمره إلى الله ﷻ فلا مفر من أن تتكل عليه، بل لا بد من أن تتكل عليه. فالله تعالى في كل موضع من كتابه العزيز يذكر فيه لنا قدرته ﷻ، يطلب منا التوكل عليه.

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: 217 ـ 219]، وانظر أيضاً: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58]، أترى الصفات المرفقة للوكيل؟ كلها ليرغبك في الاتكال والتوكل عليه. ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: 9].

توكلوا على الله يا اخوتي... توكّلوا عليه حق التوكّل، وانظروا كيف سيتغير مجرى حياتكم، لكن لا تنسوا الصبر، فربما أراد الله ﷻ أن يبتليك ليرى توكلك عليه ان كان صادقاً أم لا. فإذا ما نجحت في الاختبار تلقى من الله ما يرضيك لدنياك وآخرتك.

قلدوا سيدنا إبراهيم في توكله...

إخواني في حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام خمس مواجهات في منتهى القوة:

1 ـ مع أبيه.

2 ـ مع قوم جبارين (في بابل).

3 ـ مع النمرود.

4 ـ مع عبدة النجوم في الشام.

5 ـ مع ملك مصر (الملك الشديد).

فما كانت نتيجة تلك المواجهات الخمس؟ أربع هجرات:

ـ **الأولى**: من العراق إلى الشام.

ـ **الثانية**: من الشام إلى مصر.

ـ **الثالثة**: من مصر إلى فلسطين.

ـ **الرابعة**: من فلسطين إلى مكة المكرمة.

وفي كل مرة كان يترك فيها أهله وأولاده... أمرٌ لا يُطاق. وخمس مرات يُحْكَم عليه بالموت وينجو، وهو صابر مُضَحٍّ، متوكل.

المرة الأولى: تهديد أبوه له.

المرة الثانية: عندما رُمي في النار.

المرة الثالثة: حين واجه النمرود فطرده.

المرة الرابعة: حينما أراد ملك مصر الاعتداء على زوجته

obeikandl.com

السيدة سارة عليها السلام فأراد قتله فطُرِد.

المرة الخامسة: تهديد عَبَدَة النجوم له بالقتل.

أيها الشباب لا تقلدوا الغرب في مجونهم، أو تقلدوا فلاناً وفلاناً في الرقص، في الملبس... قلدوا سيدنا إبراهيم فإنه نموذج لخيرة الشباب وتشييد الأمم.

اعملوا للإسلام، اصنعوا الحياة، أصلحوا في الأرض... وتذكروا أن كل هذه التضحيات التي بذلها سيدنا ابراهيم عليه السلام كانت في مواجهة صريحة، فهناك تضحيات قام بها وقدمها سيدنا ابراهيم كانت لغزاً في وقتها وغير مفهومة، لكنها أُدركت فيما بعد. فتعالوا نتعلّم التوكل على الله من سيدنا ابراهيم.

اختبار سيدنا إبراهيم في توكله على الله

تزوج سيدنا إبراهيم عليه السلام من سارة وعاش معها عمراً لكنها لم تنجب له أولاداً، فأهدِيَت هاجر لسارة فقبِلَتها، وأرادت تزويجها لسيدنا إبراهيم حتى تُنجب له.

فتزوجها وأنجب منها إسماعيل عليه السلام بعد خمسة وسبعين عاماً من الهجرة والمعاناة.

وبينما كانت هاجر وسارة تعيشان مع إبراهيم عليه السلام في فلسطين، وإذا بحادثة عجيبة جداً، أمرٌ من الله ﷻ لإبراهيم ـ وكان ابنه إسماعيل عليه السلام رضيعاً ـ بأن يأخذ هاجر وابنها ويخرج بهما إلى مكان بعيد ومعزول في صحراء خالية، ثم يرجع إلى فلسطين، ولا يسأل لماذا؟! هل تتخيل معي هذا الشعور؟! ويرضخ سيدنا

إبراهيم عليه السلام لأمر الله عز وجل؛ لأنه متوكل عليه، فيتركهم في الصحراء.

وهل يقوم بهذا الأمر إلا المتوكل على الله؟

وتنادي هاجر: لمن تتركنا يا إبراهيم؟ أين تتركنا يا إبراهيم؟ فلا يجيب، يركب راحلته ويعود من حيث أتى. فهلّا راجعت نفسك الآن ومواقف اتكالك عليه كيف كان شكلها؟ أكانت صادقة أم ماذا؟

وفي حديث صحيح للبخاري[1]: أنها سألته: يا إبراهيم، آلله أمرك بهذا؟ فأشار برأسه أن نعم، فقالت: إذن لن يضيّعنا الله.

والآن نفذ طعام هاجر وشرابها، وبدأ صراخ سيدنا إسماعيل يعلو ويعلو... إذن بدأ الاختبار، وانظر بماذا انتهى.

فتنزل وتسرع بين الصفا والمروة، وتبحث عن أناس ليساعدوها فلا تجد أحداً، من أجل ذلك نسعى بين الصفا والمروة في الحج لكي نتعلم ما معنى الوكيل.

وانظر لدعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام في هذه الأوقات: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: 37]، ماذا؟ لو كنت مكانه هل كنت لتفكر بالصلاة في مثل تلك الظروف؟ تصور أنه يدعو: أن يا رب، إذا عاش ابني ولم يمت في الصحراء اجعله مصلياً ذاكراً! أتستطيع أن تكون هكذا؟ أجب.

أحياناً يفرض الله عليك أمراً دون أن يبين لك الحكم منه ليرى

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 3364).

مدى توكلك عليه. ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37]، ألا تشعر بهذا المعنى؟ أتتخيل معي سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو يدعو بهذا الدعاء ودموعه تسيل منه؟

إخوتي، هو توكّل حق التوكل نعم، لكن لا يستطيع أحد أن ينكر بأن الموقف صعب جداً. كأن إبراهيم عليه السلام يقول: يا رب، لن أخطىء بلساني ولكني قلق.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾ [إبراهيم: 38]، وبعد ذلك يعتذر ويقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾ [إبراهيم: 39]، طبعاً؛ لأنه متوكل على الله.

وما درجة اختباراتنا أمام اختبار سيدنا ابراهيم؟ لا شيء، وعلى الرغم من ذلك، من منّا يتوكل على الله حق الاتكال؟

جزاء التوكل على الله

ويستجيب الله سبحانه وتعالى لدعاء سيدنا إبراهيم، فيرسل سيدنا جبريل، ثم يضرب بجناحيه الأرض قرب رِجْلِ سيدنا إسماعيل فتنفجر الماء ـ ماء زمزم ـ التي ستبقى إلى يوم القيامة. وكانت السيدة هاجر تخشى أن تجري هذه الماء فتذهب سدى، فقالت لها: زَم، زَم، أي: زُمّي واجتمعي، فتجتمع هذه الماء.

فكلما شربت من زمزم، تذكَّر أنها جاءت من عند الوكيل سبحانه وتعالى.

وكذلك هناك قصة تدل على التوكل حصلت لسيدنا إبراهيم والسيدة هاجر، عندما غادروا فلسطين إلى مكة حيث انهار سد مأرب، فتفرقت القبائل وقتها لتبحث عن ماء، وكان فيهم قبيلة (جُرهم) وهي قبيلة عظيمة، فعندما حصل ما حصل ودعا إبراهيم ربه، مرت هذه القبيلة قرب مكان السيّدة هاجر فوجدت الطير تحوم فوق المكان، فعرفت أن هناك ماءً فنزلت، وكانت هذه الحادثة تحقيقاً لدعوة سيدنا إبراهيم: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾.

فطلبت القبيلة من السيدة هاجر أن تجاورها وتستقي من مائها، فوافقت: بشرطين:

1 ـ أن تأجروني على الماء.

2 ـ وأن تعلّموا ولدي إسماعيل.

أتعرف ماذا حصل بعد ذلك؟

نشأ سيدنا إسماعيل عليه السلام في هذه القبيلة وتعلّم اللغة العربية الفصحى؛ لأن هذه القبيلة كانت من أعرق القبائل العربية، وتزوج منهم؛ لأنه سيأتي من نسله خاتم الأنبياء وسيد الخلق محمد ﷺ.

من أجل هذا كان لا بد وأن يتربى سيدنا إسماعيل في هذه الأرض ويتزوج من هذه القبيلة بالذات.

انظر التوكل على الله، سيدنا ابراهيم الذي توكل على الله في أمرٍ جَهِلَهُ، وكان الجواب عليه أو الحكمة فيه، بعد آلاف السنين.

فلماذا انهار سد مأرب؟ من أجل أمر سيتبين بعد آلاف السنين.

أترى معي كيف يدبر الملك الكون؟ أخفى الحكمة حتى عن إبراهيم ليضرب لنا مثلاً في التوكل.

ومن الممكن أن يكون إبراهيم عليه السلام والسيدة هاجر وإسماعيل عليه السلام ماتوا ولم يعرفوا الحكمة.

أعرف شاباً لديه ستة إخوة، يعمل مهندساً معمارياً، ومن المفروض أن يخدم في الجيش، والمهندس إذا خدم في الجيش يخدم أحياناً ثلاث سنين، وقد كان يصرف على إخوته الستة، فأراد أن يخفِّض الخدمة من ثلاث سنوات إلى سنة واحدة، فنصحوه أن يذهب لعمه ويكلمه في هذا الموضوع ويتوسط له، ففكَّر ملياً، يذهب أو لا يذهب؟! وكانت العائلة كلها تنصحه بالذهاب إليه، فقرر أن يعتمد على الوكيل الذي لا يضيع معه أحد.

فذهب لإتمام الكشف الطبي، سأله الطبيب: أتشتكي من شيء؟ قال: لا. قال: هل لديك واسطة؟ قال: لا. فكتب له: ضابط ثلاث سنوات.

وعندما أراد الخروج، ناداه الطبيب: لحظة من فضلك، فتبين له اشتباه بتقوّص العمود الفقري، فطلب منه صور أشعة، قام بها

وإذ بتشخيص الطبيب يأتي صائباً، يرفع للّجنة العليا، فيعطى إعفاءً من الخدمة وليس فقط تخفيض لسنة واحدة. أجل، إنه الوكيل يا إخوتي.

وأعرف قصة أخرى تدل على التوكل والوكيل.

رجل يعمل في مكان يقام فيه حفلات ويشرب فيها الخمر، فصادف يوماً أن مرّ الشيخ الشعراوي بالقرب من ذلك المكان، فخطر ببال الرجل أن يذهب ليسأله عن حكم الشرع في طبيعة عمله، وفعلًا كلّم الشيخ وسأله: هل عملي هذا حرام؟ فقال له: طبعاً حرام، فقال: وماذا أفعل؟ فرد الشيخ: اتركه. فقال: أعمل وأكسب لعيالي وبعد ذلك أستقيل، فقال له الشيخ الشعراوي: يا بني، إن الله يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2]، وقد شعر هذا الرجل ساعة رؤيته للشيخ أن هناك رسالة يريد الله أن يبعثها إليه.

فتوجّه إلى مكتبه وبدأ بكتابة استقالته، وإذ بجرس الهاتف يرن، فيكلمه المدير ويقول له: أريدك في أمر، إن مدير فرع الشركة في مكة استقال ونريد تعيينك مكانه فماذا تقول؟ الوكيل يا إخوتي لن يضيع أبداً من اتكل عليه.

ويروى أن أعرابياً سمع صحابياً يتلو: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: 22]، فتعجّب قائلًا: رزقي في السماء وأخشى على رزقي في الأرض؟ ونحر الناقة ووزعها على الفقراء والمحتاجين. وذكر للصحابي أن الله أبدله بالناقة بتسع جمال، فقال له الصحابي: أتدري ما نزل بعد الآية التي ذكرتها لك آنفاً؟ قال:

ماذا؟ قال: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: 23]، فتعجّب الأعرابي تعجب المتوكل على الله، وسأل: وما الذي فعلتموه حتى يقسم الله بالسماء والأرض، هل كنتم تشكّون بعظمة الله؟

ذبح إسماعيل عليه السلام

الاختبار الثاني لسيدنا إبراهيم عليه السلام كان يوم طلب الله منه أن يذبح ابنه، لماذا؟ هو أيضاً أمرٌ مجهول، وكانت الحكمة غائبة عن سيدنا إبراهيم، فقد كان يتوكل على الله، ويطيع أوامره دون أن يسأل.

يا إخوتي، الوكيل لا يُسأل أبداً. قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: 99 ـ 101]، بعد خمسة وسبعون عاماً يرزق بمولود، وليس أي مولود؛ بل مولود حليم. ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 102]، لن يرميه من أعلى الجبل، ولن يبعثه في معركة حربية يقاتل حتى يموت؛ لا بل سيذبحه بيديه... الله ما أصعب هذا الاختبار. ولكن ماذا تعتقد سيكون ردّ الولد؟! ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ما هذه العائلة؟ أترى معنى التوكل الحقيقي في هذا النموذج؟

ويأتي دور إبليس اللعين، فيوسوس لإسماعيل بأن يرفض هذا الأمر، لماذا؟ لأنه يعلم أن هذا الأمر سيصبح عبرة إلى يوم الدين، فيأخذ إسماعيل سبع حصيات من الأرض ويرميه بها، وهذا كان مكان الرجم الذي نرمي فيه الجمرات عندما نؤدي فريضة الحج.

فيحاول مع السيّدة هاجر ما حاوله مع إسماعيل، فيدخل لها عن طريق العاطفة ويحاول إقناعها بالهرب وابنها، فتأخذ سبع حصيات من الأرض وترجمه بها.

ثم يحاول مع سيدنا إبراهيم ويقول له: هذه آخر فرصة لك أن يكون لك ولد... لا تفعل ذلك، فيأخذ سيدنا إبراهيم سبع حصيات ويرميه بها، وهي الرمية الكبرى.

ويأتي سيدنا إبراهيم بإسماعيل ويضعه على المنحر، وتتوارى السيدة هاجر حتى لا ترى ما ترى.

ويطلب إسماعيل عليه السلام أن يضعه سيدنا إبراهيم على جبينه؛ لأنه لا يتحمل أن ينظر إلى أبيه وهو يذبحه، يريد في المقابل أن يهون على أبيه، فيفعل.

ويحمل السكين، ويبدأ إبراهيم عليه السلام بالذبح، فلا تذبح السكين، فيسنها ويعاود من جديد، فلا تذبح، فيسنها ويعاود من جديد فلا تذبح. آه، إنه الوكيل الذي قال للنار: كوني برداً وسلاماً، الوكيل ذاته يقول الآن للسكين: لا تذبحي، توكَّلوا على الله، توكلوا عليه في الأمور الصغيرة والكبيرة.

واعلموا أن آية الذبح في القرآن لم تكن آية تعسفية، بل كانت آية أراد الله من ورائها تعليمنا معنى التوكل. ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ [الصافات: 103]، أوَ لم يكونا مسلمين من قبل؟ كانا ولكن هذا هو الإسلام الذي يريده الله منا ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: 107]؛ لأنه نجح في الاختبار إلى آخره. وانظر ماذا يعطي الوكيل بعد نجاحك في الاختبار ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: 109 ـ 112].

ما أجمل البشرى بعد التضحية يا أختي.

وماذا لإبراهيم أيضاً؟

يشرّفه الله وولده (إسماعيل) عليهما السلام ببناء الكعبة، وكل الناس ستحج إليها بناءً على كلامه. ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: 27]، فيقول: يا رب، ومن يسمعني وأنا في الصحراء، فيقول الله تبارك وتعالى: «عليك الأذان، وعلينا البلاغ»، فيؤذن في الصحراء: أيها الناس حجوا لله. فنأتي نحن بعد آلاف السنين ونقول: لبيك اللهمّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

ما ينبغي ذكره، أن النبيّ ﷺ، حين عرج إلى السمٰوات، وجد إبراهيم عليه السلام يسند ظهره إلى البيت المعمور في السماء السابعة، والبيت المعمور هو فوق الكعبة مباشرة، فسلم عليه النبيّ ﷺ، فقال إبراهيم عليه السلام: أقرىء أمتك مني السلام، وقل لهم: إن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وإن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر[1].

أهل، وصلتنا رسالتك يا جدنا ابراهيم، سنفعل، سنطيع، سنتوكل. وتذكر ان النبيّ ﷺ سمّى ابنه على اسمه (ابراهيم)، وناداه مرة أحدهم قائلاً: يا خير البرية، فرد ﷺ: «لا، بل خير البرية أبي إبراهيم عليه السلام»، صلى الله على محمد وصلى الله على ابراهيم.

(1) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (الحديث: 10/ 214).